

مطبوعات شرقية

كتاب التشبيهات لابن ابي عون

عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان

طبع في مطبعة جامعة كمبريدج سنة ١٣٦٩ هـ . م ١٩٥٠ .

• E. J. W. Gibb Memorial Series, new series, XVII

نما يجعل من هذا الكتاب وسيلة من خير وسائل العمل توطئته باللغة الانكليزية وفهارسه المعيدة والهوامش الرصينة التي علقها في نهاية الصفحات . اما الكتاب الذي طبعه عبد المعيد خان فهو من مؤلفات ابن عون المشهورة الذي يجوي متخجات شمرية كثيرة استدها ممن سبقه من الشعراء . ونستطيع ان نقع في هذا الكتاب فيما يختص بالمنازع الادبية وضروب الشعور الانساني على استشهادات من اوزان عديدة هي خير او من خير ما جاء عند شعراء العرب .

والذي لا شك فيه ان الناشر قد دأب في العمل اذ كان عليه ان يطلع على شتى المستندات في مختلف كتب المؤلفين التي اشار اليها وعلى العديد من نسخ مخطوطاتها حتى جاء مرفقاً في عمله .

واننا لنستريح للنفس ان نوجه له نقداً بسيطاً وهو اننا كنا نرم من المؤلف ان يكون اشد توسعاً في وصف المخطوطات التي عول على استخدامها اذ في ايضاحه هذا كان بمقدوره ان يهد امامنا الطريق لتكون حكماً على قيمة المخطوطة التي اختارها .

ومها يكن من امر فالطبعة على ما هي عليه ممتازة ولا يقال نقداً لها شيئاً من قسيتها . ا . ع . خليفه .

مقالة في اليزيدية - كتاب تذكرة الكحالين

الاب انطونيوس شبلي اللبثاني

ظهرت تباعاً في مجلة الشرق سنة ١٩٥١ و ١٩٥٢ . المطبعة الكاثوليكية . بيروت

لقد اصدر حضرة الاب المحترم الذي يدأب منذ سنوات عدة في البحث

والتنقيب عن المقالات والنصوص الشيعة القيمة التي ينشرها في هذه المجلة مؤلفين يدلان على غزارة علمه وطول باعه .

ومن المستحيل اذا ما قرأنا كتاباته ان نغفك النفس عن الاندهاش حيال ما تحملي به من ثبات وجدل لتدوين ابسط الشئون فهو الذي احب القلم للعلم والاداب السائرة دائماً صعداً في تقدمها .

ولقد انتج حضرة الاب شبلي نهجاً علياً في مجونه اذ لا يقم على نشر امر من الامور ما لم يشبهه درساً وتحميماً وكفى بأسلوبه هذا ليجب الى ذري الاحتكامات الدقيقة مطالحة كتاباته . فكتابه الذي موضوعه اليزيدية من المؤلفات التي يجد فيها مؤرخو الاديان ما يحملهم على التفكير والا-بابا . الذين يرغبون في التعليل الرصين الواضح والملاجات التي كان يصفها من سبقهم يجدون في تذكرة الكخالين ما ييبب بهم الى الاقتباس والاعجاب . ا . ع . خليفه

الموصل في الجليل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لاتزا

عربيا عن النص الايطالي القس روفائيل بيداويد

مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٥١ ، ٧٨٤ صفحة

على رغم صعوبة الترجمة فقد وفق الاب بيداويد في عمله اذ وضع في متناولنا ترجمة قصة رحلة لاتزا الدومينيكي بلغة لا تشوبها شائبة من حيث الوضوح المستوفي . فهي حوليات تمت تاريخ الموصل حياً للقرن الثامن عشر اذ رواه شاهد عيان . ولئن طفح هذا المؤلف بنفسية المؤلف فهو ينفحنا بمجموعة تفاصيل الحوادث . ولا يسعنا الا تهنئة المترجم على التحافنا بتبل عمله وتشجيعه على الاستمرار في الترجمات التاريخية التي تريد في ثروتنا وتعرفنا الى مناطق نكاد لا نعرفها حق المعرفة حتى الآن . ا . ع . خ

ديوان شبلي الملائط

الجزء الثاني . طبعة ربيع عام ١٩٥٢ ، ٥٢٢٢ صفحة

يا لها من مادة غزيرة ا ويا لها من موضوعات في محلها !
اجل ان الملائط شاعر الارز قد يجعل نفسنا تستشر اذا ما قرأنا ديوانه

نفس التأثير الذي تستشعره اذا ما نظرنا الى ارز جالدا الخالد: تستشعر اتساعه ونداوته وعمق جذوعه . كتساع افاق الشاعر وندي قصائده ، هذا الشاعر الذي لم يستغل عليه باب من ابواب القريض ولم يقصر في توسيع موضوعاته وتمييق شعوره ليهز اوتارنا .

بله كل هذه هي شاعر الارز الملائم . ويا لها من حماسة كانت تليق من الضمير عندما قرأنا قصائده وتمحنا تلك الحياة بنبضاتها وتقلباتها التي نسج منها بردة ديوانه حتى كأننا نتأثر التاريخ خطوة فخطوة ، لا تاريخ رجل فحسب ، بل تاريخ حقبة عظيمة الامة في حياة لبنان . ومنذ زمن بعيد امتزج هذا الرجل بتاريخ بلاده وخدمها باظهار عبقريتها وما لها من قيمة حتى لا يمكننا فصله عنها ولا بد له من الخلود . ولا شك في ان احفادنا سيتقنون بقصائده هذا الشاعر الفياض القريحة ليعرفوا ان لبنان لم يفتقر الى الشعراء ليخبروا بعضته ويبنوا جماله عبر تاريخه الطويل .

١. ع. خليفه

الى الشباب . اراجيز في احدث وسائل النجاح من الاخلاق والآداب

خليل مطران

المطبعة البولبية - لبنان - ١٩٥١ ، ١٢٥٠ صفحة

طاب للشاعر الكبير خليل بك مطران ان يضع في متناول الشبان الذين احبهم نصائح شعرية توحي بها تقويم سلوكهم ونجاحهم في حياتهم فلم يرض عنهم بادائهم المبادئ الاخلاقية الاجتماعية والفردية المقترة اليها ايماننا اشد الافتقار ولاسيما بعد ان اظهر ابنا . عصرنا رغبة في الانصراف عن الاخذ بها ترداد يوماً عن يوم .

ونحن لا نستطيع الا ان نتوجه بشكرنا لجامع هذه الارجيز السيد البير مطران وناسرها .

١. ع. خ

الوعد الحق

لطه حسين

دار المعارف بمصر ١٩٢٩

الوعد الحق رواية تاريخية للاديب الشهير طه حسين . طبعت صفحاتها المئة

والستون خلال سنة ١٩٤٩ على مطابع دار المعارف بمصر . إنتج طه حسين في هذه الرواية منهج جرجي زيدان في رواياته التاريخية . وما الوعد الحق سوى رواية نشأة الدين الاسلامي ونظوره في بعض عائلات مصرية . صرف المؤلف جهده عن الطبقتين الشريفة والمتوسطة الى الطبقة المستترقة المستعبدة . فعرض منها رسوماً فردية وصوراً عائلية ومشاهد اجتماعية يبدو فيها الانسان الرقيق معدوم الارادة مهضوم الحق مقرر النفس والجسد . كقول الرق رباح مخاطباً مولاه خلفاً : « متى ينتضي هذا الليل ومتى يفر عن الصبح المشرق؟ ... هذا الليل هو الدهر الذي نعيش فيه والذي يسوى فيه بين الارقاء وتنفذ فيه الحرية بين الاحرار . أما الصبح فهو الزمان المقبل الذي يسوى فيه بين الاحرار والعييد ويتأيز الناس فيه بأعمالهم وبلانهم لا بمازلمهم وحظوظهم من الثراء . » . فهذا الصبح الذي يرقبه رباح ليس إلا دين محمد ووعده الحق . واجتهد الكاتب في تصوير هذا الدين الجديد الذي لا يفرق بين الحر والرقيق ولا يعيز بين الناس إلا بالتقوى وبما يصلون من صالحات . غير ان ذلك الانتعاق وتلك المساواة لا يمان بلا تراخ وصراع . فنشهد في الوعد الحق حرباً عنيفة بين بعض العييد واربابهم وبين المسلمين المحدثين وابنا . قريش الوثنيين . وسفرت تلك الحرب عن انتصار الحق على الباطل بدء الحرية مد السودية .

ان اسلوب طه حسين القصصي الرائع والتفكير اخنون الذي بشه في « الوعد الحق » يستران ما فيه من غموض في التصميم وتفكك زهيد بين المشاهد والفصول . ونلاحظ بجعب عدد الاخطاء المطبعية الطفيفة التي سها عنها ملتمو طبع الكتاب ونشره .

ص . تمه

اعلام الاسلام - ابن رشد الفيلسوف

للاديب محمد يوسف موسى

دائرة المعارف الاسلامية بمصر

اصدر الاديب محمود يوسف موسى في مجموعة اعلام الاسلام كتاباً عنوانه : « ابن رشد الفيلسوف » . اراتنا الكتاب ابن رشد في عصره وموطنه وأسرتة ثم بسط لنا شيئاً من علمه وفلسفته . ولخص رسالته الادبية بجملة : « الانتصاف

للفلسفة ورد اعتبارها لها واحياؤها بعد ما لقيت من الفزالي ، والترقيق بينها وبين الدين والثريمة . لا ريب ان صفحات الكتاب المئة والخمس عشرة تضيق جداً باستقصا . سيرة ابن رشد وفلسفته . ويبدو جلياً ان الكاتب ما طمح الى ذلك . لكنه اراد تلخيص بعض مظاهر حياة الفيلسوف وعرض نقاط فلسفته الاساسية دون تنقيب وتعميق . نظنه قد وُفق الى ذلك تام الترقيق . إلا ان وسع الموضوع وضيق المجال لديه حتماً عليه حصر افكاره فجماعت بعض جملة غامضة معقدة .

ص . نعمه

الازائية الانجليزية

نظّمها باليونانية والفرنسية الابوان لاكرانج ولافيرن الدومنيكان
نقلها عن نصها الفرنسي الى نص عربي الاب مرمرجي الدومنيكي
مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جوتيه - لبنان ١٩٤٨ ، ٣٤٤ ص

لقد كلف الباحثون وعلماء الكتاب المقدس ينتظرون بفارغ صبر ومنذ زمن بعيد كتاباً شديداً الجدوى ككولف الاب مرمرجي الذي صارحنا بأنه قد اختار فيه ترجمة المطران داود للانجيل لان هذه الترجمة واضحة ودقيقة وآرية جداً القرب من النص الاصلي .

وهذا الكتاب مزيل بفهارس تسهل استنارته وتحمل من يودّ الاطلاع باحظنة واحدة باحد نصوص الانجيل التي رواها الانجيليون الثلاثة على ان لا يستطيع الاستغناء عنه . لان الكتاب جدير بكل انسان اقتناؤه .

١ . ع . خ

سر المحبة

الاب بطرس ساره
بيروت ١٩٥٢ ، ٣٥٨ ص

انها النفس المفضة بالمحبة ، محبة الباربي قد ترجمت مؤلف نفس ثانية ملوؤها الله واعني بذلك ان الترجمة الرائعة التي فجعنا بها الاب ساره لتساعد النفوس المتعطشة للسرمدى على ان تأتي اليه وترد منه الحياة . - وتردان هذه الترجمة بشماثر تقوية للممارسة من شأنها ان تأخذ بيد المؤمن في وروعه وتمبده .

١ . ع . خ

كتاب استنفاثة الانفس المطهرية لشهر تشرين الثاني

اعتبارات تقوية في حياة العذراء المجيدة

وضعها قدس الابائي المحترم اغناطيوس داغر التنوري

بيروت ١٩٥٢ ، ١٥٩٢ و ١٥٩٠ ص .

هما كتيبان يطفحان بنفس هذا الراهب الكبيرة الذي آثر حياة العزلة حاملاً النفس الى مناجاة وبه . وقد التحفنا بهذه الوردة مع كل ما لها من عذوبة وما فيها من تقى .

والكتيبان جزيلاً الفوائد وعمياً الخير للنفس التي تبحث عن النور في

مسالك هذه الحياة الصعبة .

١ - ع . خ

P. JOSEPH NASRALLAH. — *Saint Jean Damascène, son époque — sa vie — son œuvre*. Hbriisa, 1950, XV - 200 pp.

ليس قدوين تاريخ القديس يوحنا الدمشقي من الامور السهلة ومع ذلك

قد رُفق المؤلف بالتحافنا بها فاحيا امامنا اولاً البيئة التاريخية التي كفت عقلية

يوحنا لينتقل بعد ذلك الى محيطه العيلى الذي تلقى فيه الفضائل وتميز فيما بعد ومن ثم

الى التحدث عن ذلك القديس في خدمة الخلافة ووفائه لها فانتقاله الى دير القديس

سابا ومن ارهاق عبقرته ومنازلته لمذهب محطسي الايقونات واخيراً عن موته .

وقد خصص القسم الاخير من كتابه بدراسة مؤلفاته وتراجمه العديدة ونقوده .

ويطيب لي ان اتني على ميزة هذا العمل العلمي كالمطريقة المضبوطة التي تقيد

بها المؤلف وحافظ عليها الى درجة التطرف احياناً بالتقيد .

ولا يسعنا الا ان نهنئه على ذلك كما نشكره ايضاً على ارياده المصادر

وجمعها ليتحدث عنها تحدث المطلاع العارف بيسد اننا كنا من الراغبين في ان

يرشدنا الى النقاط الجدلية في حياة القديس يوحنا الدمشقي . ولقد اشار اولاً

الى اصله واتهم بالتحيز الذين يجملونه من اصل سرياني . وما يبدو لنا ان ثمة

نقاطاً اخرى كمن حرياً درسها وهو لم يشأ درسها تقادياً عن مناقشات لا طائل تحتها .

والذي كان موضوع رغبتنا خاصة هو وقوف المؤلف قليلاً بعد ان تحدث

عن مختلف البيئات التي المنأ اليها يعطينا صورة عن نفسية القديس الدينية اشد

تفصيلاً ويرينا اياها مع كل ما كانت تتخلج به من خلال كتاباته العديدة .

فالطبعة الثانية ستسد هذا الخلل ، ان شاء الله . اما المؤلف فقد شجع اخوانه الشرقيين على بحث تاريخ رجل واحد بحثاً لا يقل علماً عن هذه « الحياة » . وهكذا يكونوا خدموا التاريخ والادب والكنيسة . ا . ع . خليفه

ABBÉ G. RÉMY. — *De la création à l'ère atomique. — Autour de la Bible.* — Bonne Presse, Paris, 1951, 209 pp.

ما اجزل الفوائد التي يسديها هذا الكتيب للطلاب ورجال العلم اذ يجدون فيه المبادئ لحلّ المسائل التي يصطنعها غير المؤمنين ضدّ اقوال التوراة . فهو خير مرشد للمؤمنين لانارة طريقهم وتلقيهم كيف ينبغي لهم ان يطالعوا الكتاب المقدس . اما مستندات المؤلف العلمية فبناية الضبط وعصمة . اما كتابه فجدير به ان يكون واسع الانتشار بالنظر الى الخير العميم الذي ينجم عنه . ا . ع . خ

R. P. A.-S. MATHMARDJI, O. P. : *Textes géographiques arabes sur la Palestine.* XVI.1 — 270 pp. gr. in 8° — Coll. *Etudes bibliques*, Gabalda, Paris, 1951.

النصوص الجغرافية العربية التي تتناول فلسطين

اننا نقع في هذا الكتاب على ترجمة مجموعة نصوص جغرافية العرب المتعلقة بفلسطين التي مهّد لها المؤلف بلمحة لا بأس بها عن الجغرافيين المشار اليهم . اما اسما الامكنة وترتبة وفق الالجدية العربية . اما ما يتعلق بالمسجد الاقصى فقد جله في آخر الكتاب .

ونسة نبت جغرافي بالالجدية اللاتينية يسهل إيجاد الموضوعات . وقاشي هذه الترجمة التي قام بها استاذ دراسات التراث الكبير النصوص العربية بمخادقها وهي التي جمعها المؤلف وطبعها في كتاب على حدة . وانه لمؤلف جليل الفائدة العلمية بمراجعته التي تحوّلنا ان نجد في بعض ثوان الفقرات التي ككنا نقضي وقتاً طويلاً لايجادها في المصادر الاخرى المطبوعة . ه . شارل

HENRI ARVON, *Le Bouddhisme.* Coll. « *Que Sais-je ?* ». Presses Universitaires de France. Paris, 1951.

حسنت هذا الكتاب المختصر هي خاصة الوضوح مع ان الموضوع عريض

متشعب .

فبعد ان يُظهر الكاتب روح الفيدية والبرهية التي انجبت البوذية، يعرض العقيدة الاصلية لهذه الديانة ويتكلم بلغة تاريخية عجيبة عن انتشارها في كل اسيا الشرقية والجنوبية وعن التطور الذي طرأ عليها .

كنا نودّ لو أسهب المؤلف في كلامه عن عقيدة الزرقانا التي هي اساس البوذية ، وفي شرحه لمظاهر التصوف العقلي الغربي بالنسبة الى فكرة المند الروحية (A. Schweitzer) فهذا ما يستحقّ فصلاً مستقلاً كالنصّور الجيلة على قصرها التي خصّ بها الكاتب تنافر البوذية مع اراء كونفوسوس وتقريباً من الديانة الشنتوية .

هـ . شارل

GEORGE DRAGUE, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*. 332 pp. in 8°, écu, avec une bibliographie, deux index, VIII tableaux et 2 cartes h.-t. — Peyronnet, les Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, prix : 800 francs, Paris, 1951.

لمحة عن تاريخ مراکش الديني

من الملاحظات التي ابداهها السيد مونتان (Montagnac) في توطئة الكتاب ان ظهور جمعيات سياسية في الاسلام الشرقي منظمة على طريقة الاخوان هو من الامور التي ينبغي لنا ان نعلق عليها الاهتمام في المغرب وقد يعترى شكل هذه الجمعيات القائم الحمول ولكنها تمثل على كل حال قوة دينية ستظهر يوماً بصورة او باخرى .

ومهما يكن من امر فان هذا الملخص الكبير الفائدة ليضعنا حيال موضوع شديد التعميد . اما الفصلان النهائيان اللذان يوضحان بجلاء هذه النقطة فتليهما ستة ابواب تتناول بالتفصيل خصائص اهم هذه الجمعيات .

هـ . شارل

VINCENT MONTEIL, *Contribution à l'Étude de la Faune du Sahara Occidental*, 172 pp. in 4° avec 2 simligravures, de nombreux index et une bibliographie d'ensemble complétée de références particulières selon les chapitres, t. VIII des *Notes et Documents* de l'Institut des Hautes Études Marocaines de Rabat, Larose, Paris, 1951.

في سبيل دراسة حيوانات الصحراء الغربية

لقد صدق اعتقاد المؤلف في كتابه انه جزيل الفائدة والنفع وذهب لاشماله

على مختلف ضروب الاختصاص : من علم الحيوان واللغة واجناس الشعوب .
ويجد القارى ما عدا اسم الحيوان العلمي وما يسمّى به في اللغتين الفرنسية
والأبانية المصطلحات المتعلقة بمختلف احواله وفق شتى اللهجات المستخدمة
إبان توزيعها الجغرافي .

وبعد استيفاء المؤلف تعريف الحيوان ودراسة حياته يتحفنا بفقرة تتناول
الاراء والمعتقدات والحيوانات المحرمة .

واننا لشكره على عمله القيم الكبير الجدارة كما نتسنى ان يذيله بثبت

سهل مراجعته .

The Master of Belhaven (L' Col. A. HAMILTON), *The Kingdom of Melchior*. In - 8° de X-212 pp. Avec 18 h.-t., 2 cartes, 1 index, et un appendice donnant le thème de 10 mélodies arabes. John Murray, London, 1949.

انها قصة جندي اصبح رجلاً سياسياً في عدن . فهو يرد لنا معامراته في
جنوبي غربي البلاد العربية ، على حدود اليمن والربع الحالي ، بين تلك المدائن
المدمشة العربية ، كأنها اخوات او بنات لمدائن ملكة بآ او ملكار
الملك المحوسي .

فريشة الكاتب السائلة ترسم لنا المشاهد شمعية ملونة ، ونخطط باللوب
حبي رشيق وجوه الاشخاص الذين يظهر بعضهم من خلال صور شمعية جميلة .
نذهب مع الكاتب الى اكتشاف صنماء وينرقنا الامام مجي وحاشيته
المخلصة او المتصنعة الاخلاص في جوب من التسكاسل والتردد السياسي . ونشهد
معه قمع قنتر او استسلام نبي فضل الخضوع والاركان الى السكوت .

ونفهم بعد قراءة الكتاب ان اكتشافات اونك الجنود المرسلين الذين
تعردوا هم ايضاً النزو حاجة مادية او لجولة رياضية لم تكن دائماً مبنية على
اساس التفاهم الانساني الصادق الثابت . وهكذا شرح الألم المزوج بشيء
من القنوط الذي يعتري نفس « متر Belhaven » مؤلف الكتاب . فهو يشعر
بالوحشة في بلاد تعرف اليها وبين شمس خالطه وعاش في جواره قطعة
من الحياة .

هـ . شارل

EUGÈNE GUERNIER, *La Berbérie, l'Islam et la France*. Deux volumes in-8° de 416 et 400 pp. avec 29 h. t. en similigravure, 3 cartes, des bibliographies et un index. Edit. de l'Union Française, 3 Rue Blaise Desgoffe, Paris, 1950.

في هذين المجلدين المطبوعين طبعة جميلة يقلم لنا الكاتب « دون ادعاء علمي محاولة لأحيا. روح شب البربر. »

وزاه يحاول ان يخلل ، خلال الألفي سنة الحالية ، النفسية الاجتماعية التي توحد بين الشمين البربري والفرنسي ، فيتكلم عن العقلية والديموقراطية الفردية التي تتأخى بين الشمين .

بعد ان انضمت بلاد البربر الى اوربا الجنوبية سنة ١٥٣٠ بواسطة فرنسا ، على الفرنسيين ألا يفرقوها ويتزعموا عنها شخصيتها بل عليهم ان يساقفوها لتجد طريق ذاتها عن طريق اتحاد اوسع ، هو الاتحاد الفرنسي .

ويعتبر الكاتب ان الاسلام هو الحاجز الاكبر الذي يحول دون هذا الانضمام. اما الحل الذي يقدمه لهذه المشكلة التضامنية فيبدو باطلاً من اساسه لان التوحيد العقائدي الديني هو خيانة لكل دين . فالدين هو حياة وتعبير ايضاً ولن يُعبّر عنه الا من الداخل . وعدا عن ذلك فشكلة الدين والتعبير عن بواطنها تعود الى اختصاصي او لاهوتي . فالسيد Guerrier يخرج عن صلب موضوعه عندما يجتبل نفسه في « هذه المحاولة البسيطة » حل مفضل كهذه متشبهة عويصة . وعلى كل حال لنحتفظ من كل هذه الصفحات التي يكرسها الكاتب لدرس هذه القضية بالامل الذي يحملنا نرجو ان يهتم المسيحيون والمسلمون بديانة جارهم فيتعلموا في درسها ويجاولوا فهم افكار متصرفيها ومفكرها .

وهناك موضوع آخر يبحث فيه الكاتب بعض الشيء . وكان من حقه ويوسعه ان يتعمق في تفرعاته ويجد لها حلاً اكثر بما فعل : ألا وهو موضوع العرب والاستراب . في بلاد البربر « لا تزال » اكثرية السكان عربية (١٣ مليوناً من اصل ١٩) . والبربريون رغم ابتعادهم عن الديانة الاسلامية جعلوا مسلمين ، مع ان الاسلام ليس فقط ديانة بل شريعة وتيروقراطية . فالسلام الذي هو ديانة مقترحة للجميع نجدتها احتكاراً - الآ في الهند وفي افريقيا الوسطى -

في صالح العرقية العربية . وهذا ما يجعل كل محاولة لمنفعة البربر في افريقيا الشمالية غاية في الدقة والخطورة . فكل محاولة من هذا النوع تُعتبر مظهرة ضد العرب والاسلام . وهذا ما حدث سنة ١٩٣٠ في مراكش ، مع ان الحسين بالمتة من المراكشيين هم من محبي البربر ومناصريهم .

فعلى فرنسا اذا ، بالنظر الى ثقافتها وتقليدها المسيحي الموروث الذي اعدتها لهذه المهمة ان تحاول توحيداً ليس دينياً بل انسانياً . فنتيجة هذه المحاولة مع النتائج الاخرى التي عقبها من قديمة وحالية نقرأها في القسم من الكتاب الذي يحمل عنوان : « فرنسا وبلاد البربر . » اما القسم الرابع فهو جميل يوحى الشيء الكثير ولكنه نظري اكثر مما هو واقعي . يتكلم فيه المؤلف عن « الحلول المسكنة » من حيث العلاقات بين الاوروبيين وسكان البلاد البربرية ومن حيث الشؤون الاقتصادية والتعام الزراعي خصوصاً والاثر الثقافي والاجتماعي والتجانس المتدرج رويداً رويداً . فهذا الفصل يساعد كل الفرنسيين على ان يتخذوا لهم فكرة واضحة عن رسالة بلادهم في افريقيا الشمالية وان يتدبروا متقين من هم اهلاً للقيام بهذه الرسالة بشجاعة وعقل ناقب . ه . ش

GEORGES MARÇAIS, *Tlemcen*, 104 pp. in 4° avec une bibliographie et 60 héliogravures h. - t. et 9 dessins au trait dont 2 plans. — Laurens, Les villes d'art célèbres, Paris. 1950.

ان المؤلف لصديق حميم من اصدقاء لابنة المغرب الاوسط المدين لها بدعوته كفننان وكعالم علامة من علماء الحضارة الاسلامية وقد احيا لنا هذه المدينة وحببها الينا كما عرفها هو . اما لفته ففحة حيوية وتنمشتها رسوم فنية تطبع فيها اناقة الفن الاسلامي وبهجة حدائق البحر المتوسط .
واقدم جاً هذا الكتاب كما دار في خلد المؤلف خير تفرير له لانه كان ابر بواعيده من التجواب وهو على كل حال من فضلى الذكريات . ه . ش



الاسلاف وعلومهم لا يبرح نورها مشعاً في ميادين الادب والفلسفة والمناظرات الدينية . لقد قيل ان التاريخ يعيد نفسه وربما كان لنا من عبر الماضي ثروة تجدد بنا الى تقضي الحاضر وادراك معضلاته : كل هذا فهمه الاب شيخو حق الفهم وادرك الامور التي يضحي بها ليكون طليعة المفكرين والمنتخبين الارل . ومن تلك الامور النبع العلمي والدقة في التنقيب .

وهل كان في عصره منهج علمي صحيح . أولاً نحكم على الماضي بالنسبة الى المعارف التي احرزناها في حاضرتنا ونحن لم يتأت لنا احرازها الا بعد استهلاك الزمن الطويل في سبيلها ! ألنا نحكم على غيرنا بحج اساليبنا الخاصة فنستحق ان يقال فينا اننا في افتقار الى ابسط المناهج العلمية ؟ اجل ان الواجب يقضي علينا بان نفهم كل عصر بما يجيئ ما احاط به من الدلائل التاريخية والنفسانية والا كنا عرضة لارتكاب اعظم اخطاء التاريخ وذلك اذا ما قننا الماضي على الحاضر كما لا يزال يفعل في غالب الاحيان العدد الكبير من اصحاب العقول القوية ... المتبحرين بالعلل العلمي في يومنا الحالي .

ولئن كان من السهل اذا الانتقاد فان التعفي بالظفر على السهولة نفسها . لقد عرف الاب شيخو انه كان يضحي بشهرة العلامة التي اطلقوها بحق عليه كما نعتقد لانه كان رجل الطليعة الذي فتح طرقاً فسيحة امام الباحثين في عهده وامام من يجيئ بعده . ولا يسمنا الا ان نستر من المعجبين به ومن الذين يفضرون بتأثره العظيمة واخلاصه الصحيح لخدمة التاريخ والشرق ، ولا بد لمن يطلع على مؤلفاته وما كتبه من ان يكن له في قرارة النفس احترام ذكراه والرغبة في تكرمه .

وما قصر الاب شيخو عمله على مجموعة فقط فانه قد كان مفطوراً على نبش الكنوز الادبية فاقدم اقدام الرائق بعصاميته وحده على كشف ما كان كبير القيمة ، وقللاً اتيح ان يجتمع مثل تلك المقدرة على العمل والدقة في الاختبار في رجل واحد . واذا شاء ان يكون طليعة المنقبين فقد ادرك الامور التي ضحى بها فذلك لم يساوره قط التردد والاحجام . اما اذا رأيناه يسرع احياناً بعض الاسراع في ما يكتبه فما من داع يحملنا على الدهشة

ويجدد بنا الترميم العتيبة ضد ذكره لان ما كان يمكنه صدوره من معارف واسعة ولان الطرق التي شتمها امام البحث والافاق التي اوضحها للباحثين في المستقبل لتعوض كل التعويض عن عثرات لم تكن لتعد عثرات في زمانه .

ولئن اخذوا عليه تلك السرعة الكبيرة ونقدوه لكونه قال ان كثيرين من اولئك الادباء الذين كانوا قبل الاسلام وبمده من المسيحيين فان ثمة دراسات اشد تدقيقاً قد اعطت كلاً منهم حقه . اما اجتهاده الشخصي الذي كان في ارض بكر فقد بث في الكثيرين - ما عدا قذوق آداب تلك العصور الحقيقية - الرغبة في تفهم شعرها والايغال في البحوث الاخرى والقيام بها . وما اصدق هذا القول على كثير من مآثر الاب شيخو الذي اسدى للنهضة الادبية العربية خدمات جلي لم يتفق لاحد قط ان اسداها مثله وذلك بصفة كونه رجل الطبيعة ويهد الطريق وزعيماً في ارض بكر في نهاية القرن التاسع عشر .

لا نجعلن لنا رائداً عدا الاخلاص . فلذلك متى وقمنا في تاريخ الادب على احوال كل الذين ساهموا في النهضة الادبية لا نرى بينهم الا النفر القليل الذي كان على غراره يتجلى بتلك الثقافة الواسعة وذلك الفكر الذي استهواه حب الاطلاع على فروع عديدة وهي لم تكن عديدة في نظره لانه وجد بين جميعها لحة القرابة .

واولئك الذين ساهموا في النهضة قد راضوا النفس على قرص الشعر وعانوا التاريخ والمسرح والتقد الادبي وسائر الابواب الاخرى ، ولكن قلما كان بينهم من جمع في نفسه حذق الحاضر والعمل الصائب البصير وتقدير الماضي كلاب شيخو .

ولا يستطيع احد - مهما بلغت به المكابرة - ان ينكر عليه هذا الامر الذي امتاز به .

ولقد قلنا ان الاب لويس شيخو كان يعرف انه رجل الطبيعة ويعلم بانه يضحي باختصاصه الضيق ، ذلك الاختصاص الذي سيميز العصر التالي . ومهما يكن من امر فنحن مدينون لذكره لنجهر بالقول انه قد نفع

عصره بقدوة الجلد على الدرس وبشر مخطوطات الكتب التاريخية وبعضها مجلدية بروح الناقد البصير وبالتحليل العميق جداً العمق وبالمقارنة بين النصوص والمؤلفين وما ذلك جميعه الا الحصاص التي يتناز بها خير علماء يومنا .



كان شيخو مؤرخاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى وهو جدير كما نعتقد بهذا اللقب . فقد كان يهتم ببحث حياة الانظمة وتطور الادب وتقدم الدول في كل عصورها . وكان يُعنى بدراسة عوامل البيئة وقرائنها برمتها اي كان يُعنى بجميع ما حفر بحياة الادباء الذين تصدى لتأريخ حياتهم واختار شيئاً من مآثرهم في كتاب المجاني الذي لا يد مسده اي كتاب آخر .

اجل كان الاب شيخو من مؤرخي اللغة العربية التي اخلص لها الحب ، ونشره المخطوطات الانونية برهان قاطع على صحة ما قلناه بصدده . واذا لم يؤلف تلك الوحدات الضرورية التي كان اعدّه لها ما نشر من مخطوطات فمن الاكيد انه كان يتوي ان يدرس يوماً كيفية تطور الكلمة والعبارة والقالب التركيبي تطوراً معنوياً ويمكن لغيره في هذه الدراسة .

ولئن تناولنا في كلامنا المجاني فانه يبدو لنا كأنه سوق قد عُرض فيها الادباء الذين لم يذكرهم الاً وفاقاً لفكرة مناجية بعيدة القور ، واذا ما ذكر ذلك العدد الكبير منهم فلنكي يدل على اهتمامه ببحث محبة الاقدام على تقليب الصفحات ، التي علاها الغبار ، في افئدة من لا جرأة لديهم لكشفوا ما فيها من كنوز دفينه وبعث فيهم حركة اختيار الموضوعات غير المطروقة وتحتس حركة التقدم الذي تحمق قرناً قرناً والامام بهجات النفس ودراستها دراسة نفسانية .

ولم يضع شيخو المجاني وحده . فهناك المخطوطات التاريخية التي نشرها . وAIM الحن ان جاده في اختيار مختلف القراءات وروايتها لباحث على الدقة . واذا ما نُحِىل الينا اننا واجدون في ما اختاره أهية من أهيات الاطفال وان انتخبه لها كان انتخاباً اعتبارياً فالامر على نقيض ذلك تماماً . . . فلنكي نأمن الثار علينا ان نرجع الى ما كان يجوز في عقل ذلك الاديب وما هي الظروف التي كان يعيشها لنقول ان تلك القراءة لا تنطبق كل الانطباق على عقليّة

الاديب الذي ندرسه ولا على نفسية زمان كتابتها لان للكلمات تدرنجها ولا تقوى على اختيار ما يزيد منها بدون تمرير النفس لأوم . اما اخوامش التي ذيل بها تريخ بيروت لابن يحيى مثلاً فن الحيف ان نبخه حقه من التقدير على ذلك التردد الطويل حول كل نقطة قبل الشروع بعلمه حتى أمن الزلل باستناده الى الذرائع التي يسلّم بها انعتل ووالى طريقه مطشناً .

وتريخ بيروت هذا . . . الذي اقتضاه ترويض نفسه على ادق روح نقدي قد استلزمه بذل جهد مستمر في التنقيب بين الاساطير تقضياً للنقاط التاريخية التي لا يأتيا الشك ولا تقبل جدلاً .

وان انتصمت بالصمت عن الكلام على مؤلفات شيخو التاريخية الاخرى فاني ارد الاماع الى احدى ميّزات طريقته التي كشفها تزد (Tarde) في نهاية القرن التاسع عشر وتبينها قبله الكاتب الكبير ابن خلدون: اي على انتباهه نمواً واحداً فلم يقف حائراً متردداً حيال نصوص شتى المؤلفين التي تتناول الحادث نفسه ليقارن بينها ويستخرج ما استبطته من عنصر نفسي لكي لا يحتفظ الا بالعنصر الموضوعي منها فيشير اليه ويبيّنه كحادث تاريخي .

واسنان تصدى للتحديث عن جميع ما نشره شيخو من دواوين عُني بها الاعتناء نفسه ودققها التدقيق عينه واثانورد ان ندلّ في هذه الملحوظة على ميّزات طبائعه الخاصة به .

وما نقدوه عليه ارتكابه سهواً بعض الاغلاط في الكتب التي اصدرها ، اغلاط لا تنفق والطريقة العلية الصحيحة، فما كانت تلك الطريقة العلية في عصره ! اتنا لا نغالي ايما مقالة اذا قلنا ان الاب شيخو كان اكبر اولئك المسامرين في ايجاد تلك الطريقة التي كانوا لا يزالون دائبين في البحث عنها . فالانتقاد الذي يوجبونه اليه في هذا الصدد لا يستطيع ان يثبت على قدميه .

كان شيخو مناظراً صارم القول شديد الجملة لكنه كان يتقضى الحقيقة دائماً ولا يخرج عنها وكان يضر في اشدّ حملاته احتراماً لشخصية خصومه الذين كانوا يترمونهم احتراماً عميقاً .

ولقد رغب خصومه بالامس يوم وفاته ان يُخلدوا على الاكتشاف الى مشواه
الاعير . . . واذ كان من كبار رجال المناظرة فما اكثر الحقائق الدنة الحفية
التي وجدت فيه من اقوى المدافعين عنها واشدهم تحملاً لها .

وهل يسعنا ان نذهب بالقول الى حد اتهامه بالتعصب ؟ ان القضية التي
نصب نفسه مدافعاً عنها كان في نظره قضية موت او حياة لانه كان مؤمناً لا
يورب في الدين .

ولست اقف عند هذه الميزة من ميزات لانها كانت اقلها اهمية .



كان شيخو لغوياً . حدا شنف الاب شيخو الانوي بالمخطوطات للقيام برحلات
طويلة غالباً ما عرض فيها النفس للهلكة (راجع مقالة الاب لامنس التي خصصها
به سنة ١٩٢٩ ، مطبعة باسكو (Bascou) ، ليون) وأحيث فيه تعشقه الائمة
العربية وشغفه يا شغفاً عظيماً . فشرغ بشر مخطوطاتها ككتاب الميز
وكتاب ابن دوروستويه وتهذيب الالفاظ وغيرها وقد توخى في جميعها اسداء
اللغة العربية خدمة محكمة الضبط كل الاحكام .

اجل ما من امر اجدي نفعاً واجزل فائدة من ان نبيّن للعاملين والباحثين
كيفية استخدام مفردات اللغة العربية بياناً مفصلاً جد التفصيل ، وليس من
شأن اصدع بين امرين من الرجوع الى تلك المقارنات بين مفردات من نوع
واحد واحياناً من اصل واحد لاهيا . تذوق الائمة العربية والامام بها تذوقاً
والماماً بعيدي الاثر .

فهل كان شيخو ممن اجادوا في كتاباتهم ؟ قد تقع احياناً على بعض ضعف
في لغته . لانه كان يكتب بسرعة عظيمة كما قلنا ولا يجهد ذلك ، لكنه
اراد ان يضحي بالتنوع في سبيل الكمية التي كان لها قيمة عظيمة .

فهل يحق لنا مؤاخذه رجل على لغته التي كانت على الجملة صحيحة لانه
ارتكب بعض الهنات ونسدل ستاراً كثيفاً على خدماته الجارية التي احسن
ادائها ؟ ان في ذلك لمتهى الاجفاف الذي لا يسلم به منطق .

الخلاصة

ان اعمالنا تقضي لنا او علينا ، ومن المستحيل ان لا تتلکنا الدهشة امام الكتب العديدة التي نشرها الاب لويس شيخو لتفرض علينا احترامه ، وان اعجابنا به واكبارنا اياه ليزدادان متى عرفنا ان كتبه ما فتئت حتى الآن من ذرائع العمل لدى العلماء . ومن وسائل التثقيف في الشرق الادنى وافريقية الشمالية وشتى البلدان الاخرى . واننا لتسنى ان نرى قيام رجال عديدين على شاكلته ينفخون الانسانية بمرفقهم نبش كنوز الثقافة وانما المعارف العقلية ، اذ لا يزال ثمة عدد كبير من العلماء العاملين في الشرق والغرب يدأبون في ايقاف هذه المهمة الصعبة حقها بتشرهم للخطوط القيمة .

نبلة ان شيخو قد ساهم مساهمة كبرى في تعزيز هذه الحركة وتقويتها . فلذلك لا بد لكل من عرفه شخصياً ويعرفه الآن من خلال كتاباته من ان ينحني اجلاً للاحترام ذكراه .

حاشية . لا بد لنا ان نقرأ التعليق الصنبر الذي خصه الاستاذ محمد كرد عنى بالاب شيخو ونشره في مجلة المحج العلي العربي بدمشق في عددها لشهر نيسان ١٩٥٢ الـ والاسف ينمنا فقد انصرف الاستاذ الى ان يعمل حملة منتظمة على الاب شيخو وذلك مد صرف النظر عن اطرائه اطراء لم يكن له ندحة عنه .

ومن المؤكد انه لم يكن ليقدّم على مثل هذه المهاجمة لو كان ذلك الذي لُقّب « بسلطان اللغة العربية » لا يزال على قيد الحياة .

ولقد اتخذنا في ما جئنا به في مقالنا التحفظات اللازمة ووضحناها بحسب فكرة شيخو - لان نسبة الكتاب غالباً ما تبين عمل - فنحن لا نستطيع تأييد اتهامات الاستاذ محمد كرد عنى الخاطى . معظمها ، ليس في سنين الدفاع عن شيخو بل للدفاع عن عمله كما هو ، وباليته قرأه بانقباه وارحف في تفصي معنى التاريخ لكان له من امسائه في القراة وارهافه المعنى التاريخي ما حال دون ضروب هذا الاستخفاف .

الاب اغناطيوس عبده خليفه

اليسوعي

المدير